(ضوءٌ آخَر)

.شقائق، توقيعات، أجنحة، شذرات، خواطر وملامح.

.شوقي مسلماني.

إلى شوقي مسلماني:

"كنتَ بيننا

وعندما رفعوا المائدة

وتفرّقَ المدعوون

أعادكَ صمتٌ

لم يكفّ يوماً عن ملاطفةِ القوّة

تلك المتسرّبة من شقاءِ الفولاذ".

_ بيار شلهوب.

**

رحلة

من ذئب إلى كلب.

(1)

القبضة

شديدةُ التملّك

وقاسية.

تدعوهُ إلى العقلانيّة

يدعوكَ إلى عِلمِ الكلام.

مِن مكانٍ وفي زمان

بدأتْ قطرةُ الدمِّ تدخل في طَورٍ أوّل،

وتماماً مثلما هذا يسبح وذاك يركض

وهؤلاء يطيرون وأولئك يزحفون

وما بين الكلّ من تبادل في الأدوار،

لأنّ القسوة ولأنّ الرِقّة،

ولأنّ "اليوم الأوّل يحملُ في أحشائه اليومَ الأخير".

من مكانٍ، وفي زمانٍ، أطلّ الموتُ أوّلاً،

وهذا من سبب تسلّطه بهمجيّة.

وكلّما ابتعد كلّما اقترب،

وكلّما اقترب كلّما ابتعد.

•

حظُّه

سيئ أم حسن

إذا لا حظَّ له؟.

الصدفةُ

يبحثون لها عن قانون.

الكلُّ

خطأُ الكلّ.

•

مِنْ أينَ تبدأ؟، مِنْ حافّةٍ في الرأس؟،

مِنْ فوّهةِ بركانِ الرأس؟، مِنْ مكْرِ الرأس؟،

مِنْ كراماتٍ للرأس؟، مِنْ شظيّة

وفي الرأس مَن يستأصل بدأب زهرةَ الحياة؟.

وفي الرأس ثعلب، وفي الرأس أخرق،

وفي الرأس خواءٌ وصداه، وفي الرأس نصفُ الرأس،

ما خلفَ ظهرِ الرأس وديكُ الرأس؟.

أم تبدأ ممّا في الرأس

يختبئ ذعراً مِنْ كثيرِ ما يكون؟،

مِنْ بكاء أم ممّن يتردّد في أن يكون وجهاً؟،

أم ممّا في الرأس مِنْ أوبئة وكأس محطّم؟.

أمامكَ كاتم صوت،

من يفتخر أنّه بلا صوت، من لا ينتبه أنّه بلا صوت،

مَنْ يصلّي لكي لا يكون له صوت،

ومَنْ يقسم إذا صوتٌ سيعدمه عمرَه شنقاً، صلباً، حرقاً.

وفي الطريق عيون وقحة

تبتسم، تلدغ، تتثاءب وتنام.

◆

العدَمُ يعملُ

على أكثر مِن خطّة.

إنّه في صندوق منذ 17 يوماً،

يا ابن آدم إفهمْ، هو في صندوق منذ 17 يوماً،

وقبل أن يغلَقوا عليه أعطوه رغيفاً وتنكةَ ماء صدئة.

هل تعرف يا إبن آدم؟، سأذهبُ إلى المرقّط

حاملاً زجاجةً وكأسين، سأشربُ نخبه

وأصيح: "هذا الشبل من ذاك الأسد"،

ورأسِكَ الشريف سأرفعُ يدِي التي ترفع الكأسَ

وهي اليمنى بالتأكيد كأنّي أرفع المشعل

وسأقولُ بنشوة وإفتخار: "بوركت".

سأصهل، سأسابقُ الريحَ، سأدخل عليه،

سأرفعُ يدي اليمنى وأؤدّي التحيّة،

وسأقولُ لذاتي بصوتٍ آمر: "استرحْ" وسأستريح،

"انصرفْ" وسأنصرف.

سأحلمُ أنّي أقوم بالواجب،

يا إبن آدم هو في صندوق منذ 17 يوماً ليتعلّم الأخلاق،

قالوا: "خذِ الخبزَ والماء، رحلتك يا مسكين طويلة".

ورأسِكَ الشريف هذا كلّ ما في الأمر.

◆

ليس من واجبي

أن أجرّعَ وطني كأسَ السمّ.

الكاميكازي

أهدافُه عسكريّة.

المهمّة جديرة

أن تسلِّطَ ضوءاً على ذهاب وإياب.

•

عمّا تبحث فيما تقول؟،

عمّا تبحث فيما تقلق وتأرق؟،

فيما ترقد وتتأمّل،

فيما ترسم، فيما تنحت،

فيما تغنّي وفيما تكتب عمّا تبحث؟.

عمّا تبحث عندما تدمع حزناً،

عمّا تبحث عندما تدمع فرحاً،

عندما تشير إلى جهة أو عندما تكاد تختنق،

وعندما بأعلى صوتك تضحك عمّا تبحث؟.

•

الطعنةُ ذاتها

وفي الموضع ذاته

هي أبعد غوراً.

النقصُ فادح

في نسبةِ الأوكسجين.

"وحده الذي يخجل

هو الإنسانُ الإنسان".

ماذا تفعل

يا سليلَ الفراغ؟.

.

اقتربتَ مِنْ مسألتكَ

مع الذين يرمونكَ في جبّ،

يتّهمونك أنّكَ رأس قليل أو موت جوّال.

أخطرُ العضّ هو أن تعضَّ يدَك.

يرمونك أنّك ترمي عينيك لأسماك البورانا.

أخطرُ العضِّ هو أن تعضَّ يدَك،

وعندما تغمز للمخلب.

الوقتُ "يويو" في يدِ الزمن،

نزولاً وصعوداً لئلاَ يشعر بالملل.

◆

وجوه ذاهلة،

الحرارةُ فوق الأربعين،

لا قطرةَ ماء والمشهدُ يتكرّر.

شِباكُ صيّادي السمك في البحارِ البعيدة

لا تزال ترفع هياكل أو عظاماً بشريّة.

لا نفعَ بعدُ من رفعِ تقارير للجهات الرسميّة المعنيّة،

الحرائق في الوجوه من أثرِ خليطِ الملح والنفط،

من أثرِ نفاقِ العالم.

لا تقلْ إنّي أسأتُ فهمك، إنّك لا تكره،

إنّ القلوبَ تقسو،

إنّك تطلق الرصاص فوق رؤوسِهم

لجماً للإكسودس _ للهجرة أو للرحيل الأعظم،

قلْ إنّهم لا يشبهونك فقط.

◆

إقتصادٌ ريعي، إقتصاد زراعي، إقتصاد صناعيّ،

التنافسُ في الوحشيّة، المالُ السياسي، الإستغلالُ الطبقيّ،

حقوقُ العمّال، الضمانُ الصحيّ، رعاية الشيخوخة، حقوق الطفل،

وحقوقُ المرأة التي على ظهرِها مَجرَّة.

طبائعُ الإستبداد،

السابقُ، اللاحق، قلةُ الرحمة،

من لا يروّعهم أن تقسو قلوبُهم،

عبيدُ النخاسةِ، ثقوبُ القديمِ البالي،

القِيَمُ المتخثِّرة، والوجوه التي تقطر سمّاً.

المنطِقُ الأخضر، المنطِقُ الأزرق،

المنطق الأصفر، المنطق الأحمر، المنطق الرمادي،

المنطق اليانع، المنطق المانع،

المنطق المفترِس، المنطق الكثيف، المنطق اللطيف،

المنطق المحرِق، المنطق المهاجر والمنطقُ الرمل.

•

السؤال هو إذا المحرقة.

The Holocaust. "ذي هولوكوست".

تعني أنْ يحرقوا شعباً آخر؟.

◆

لا فراشة

لإنعاش الطقس.

التشظّي

في الإتّجاهات كافّة.

المجنون في الوسط

مِنَ الحيّز المأهول كلّه بالرمل.

كلُّ جهة

ليست أقلّ قسوة.

"الوعيُ الزائف

أحدُ العراقيل بوجهِ الغد".

"العقلُ الغائب

لا يرى الفكرةَ الحاضرة".

وفي النفق

ليلٌ طويلٌ ينام.

(2)

أمّا هو فقد اندفعتْ مظلّتُه

إلى الناحية التي يخشاها الجميع

حيث الوحوش والأفاعي والحشرات،

وعندَ زيح الأفق قطار

لا يزال في سبيلِه بعدُ يمضي.

العقلُ يُسمع ويُرى،

علومُ الهندسة جوهرة.

الداءُ ليس في فنون الحرب،

الداءُ في حرسِ القديمِ،

في حياةٍ عاشت وماتت ولا تزال

تمتلئ بهم وتتكاثر.

كلُّ مذاهبِ العنصريّةِ داء

وكلُّ مذاهبِ الجشعِ والقتلِ بالتجويع.

الحكْمُ بيدِ الأقليّة

وعلى الأكثريّة أن تقتنع

أنّها هي التي تحكم.

على هذه الديمقراطيّة

أن ترسم قواعد اللّعبة

لتفوز الأقليّة بالأكثريّة.

"فقيهٌ جاهل

عملُه التستّر على الجهلِ".

عندما تعلم، عندما لا تعلم،

عندما كأنّك ذاتك تكلِّم ذاتَك،

أو عندما تتحدّث الى أذنٍ للإيجار،

أو عندما تحتمل بصبرٍ جميل لساناً للإيجار.

كلّ ما أريد هو

ألاّ يكون الوقوع بعدُ أكثر.

•

جهةٌ عملها دفن الموتى،

جهةٌ لا تفضّ التباساً،

جهةٌ لا أحد له علاقة بها

ولا هي لها علاقة بأحد،

جهةٌ لم تولَد بعد،

جهةٌ محمّلة بأكياسِ الفراغ

والحصَاد يسجّل رقماً قياسيّاً،

الأكياسُ تكاد تتمزّق،

جهةٌ فوق وحركةٌ تحت،

جهةٌ تمرّ وقلّما يلاحظ أحد

ومع ذلك يركبها شيطان كلّما صادفته،

وجِهةٌ خرجتْ ولم تعد.

◆

"وحدها القوّة

إمكانُ المجرم".

أينما اتّجه بصرُك،

في السماوات الداخليّة أو الخارجيّة،

دوائر قطرُ بعضِها أكثر عمراً مِنْ بعض.

محاولات

باءت كلّها بالفشل

للجمِ هذا التردّي.

الزبد

لهاثُ البحر.

المسألةُ متراكمة،

سلوكٌ لا أعتقد أنّه صنيع رِقّة،

هو صنيع آلات وخْز.

قومٌ

من الأقوام

يفرحهم النهيق

ويحزنُهم تغريدُ الكنار.

لا مكان

لمن لا رأسَ فيه.

"وقع في حفرة

وضحكوا منه ضحكاً

ليس هو من أنواعِ الضحك

هو من نوعِ الضاحكين".

تحدّثني

عن جرحٍ في يدِك

أنا طريح الفراش

بسبب من جرحٍ قاتل

في قلبي؟.

ذاتها الخَرافة ما أكثر العقل فيها

وذاته العقل ما أكثر الخرافة فيه.

المدرِكون عملُهم أن يشيروا بالنصح،

ولا يحرّك ساكناً مثل الذي ينظر بألم.

•

"جورج حبش ورقةُ السنديان الناعمة والجارحة،

أوّلُ الشرر، أوّلُ اللهب، الفكرةُ التي تلت النكبة،

سار على خطى السيّد المسيح في أرضِ الشريعةِ وبحرِ الجليل،

كان عذباً كأنهار بلاده، علقماً كناقفِ الحنظل في قفارِ اللدّ".

"لا عذْر لمن أدرك الفكرةَ وتخلّى عنها"،

"لا تستوحشوا طريقَ الحقِّ لقلّةِ السائرين فيه".

جورج حبش قال:

"تستطيع طائراتُ العدوّ أن تقصف مدننا ومخيّماتنا،

أن تقتلَ الأطفالَ والشيوخَ والنساء،

ولكنّها لن تستطيع أن تقتل إرادة المواجهة فينا.

قال: أنا مسيحيّ المولد،

إسلاميّ التربية، إشتراكيّ الفكر".

لا إخال كريماً يلفظ إسم الحكيم

إلاّ مشفوعاً بالإحترام والبيلسان،

إلاّ مشفوعاً ببيّارات البرتقال والزيتون

وبالثوريين الذين لا يموتون أبداً.

•

الغدُ يعبر

بمقدارِ العقلِ.

الشرارةُ حظُّها عند ذروةِ جبلِ المعارِف،

تاجٌ على هامةِ جليلِ التراكم وجليلِ النوع.

الرأسُ كما أراه جهةٌ للإستعداد

لتسجيلِ هيئةِ الحقيقي وليس الذي يعبر،

جهة تنظر بعينين ذات قدرة على القطْعِ والوصْل

وعندها البيارق والصنوج والطبول.

ليست المسألة في التكافوء،

المسألة في شرف المحاولة.

يكون ذاته ويكون غيره،

يكون مصيباً ويكون مخطئاً،

يكون جريئاً ويكون خانعاً،

يكون المودّة، الجفاء، الرائي، القمّة،

الآهل، المهجور، الصوت، الصدى، ويمضي.

كأنّما كي يقعَ الآخرُ

في فخ الحيرةِ أيضاً.

انقضتْ ملايينُ السنين،

كانت الأرضُ كلّها ملعباً،

كان الجسم ضخماً والفكّ عظيماً،

ضاعَ الصوتُ _ امّحتِ الخطوة،

وها بعد منه فقط حجر.

تلك محاولةٌ،

المشهدُ غيره في كلِّ حقبة

والكسور بعدُ أكثر في رأسِ الدمّ.

"ولكائناتٍ صغيرةٍ مثلنا

يكون احتمالُ هذه الشساعة بالحبّ فقط".

(3)

الناحيةُ أنحاء،

منها التي ولِدت

ومنها التي بعدُ لم تولد.

أنا أحثُّكَ كي تعترف

بجريمةِ إبادةِ اليهود الأوروبيين،

منهم، مثالاً، يهود غيتو وارسو،

فلا تعود إلى عملكَ المشين بعدُ،

ولكنّ الغريب في نظام عقلك

الذي هو صنيع نظامِكَ اللصّ

أنّكَ لن يهدأ لك بال ولن يهنأ لك حال

إلاّ إذا أوغلتَ أكثر في الدمّ،

تعترف بجريمة لتدبِّر جريمة ثانية،

أليس هذا ما جرى مع فلسطيني غيتو غزّة

أيّامَ أعيادِ الميلاد ورأسِ السنة 2008 _ 2009؟،

ما هو الفارق بين الموت بالغاز والموت بالفسفور الأبيض؟.

◆

أوّل ما تخرج

سترى الوجه.

أوّل ما تخرج

سترى وجه الوجه.

كلُّ جهة

هي جهةُ خرائب.

خطأ

يتأكّد يوميّاً.

خطأ هي

هذه الأنياب والمخالب.

لم يكن من يستدرك،

ميْت مَن لا يستدرك.

لا شلاّل فضّة، لا غزال،

لا ندى _ شامة _ على خدّ وردة،

ولا يد من ريش النعام؟.

لم ينس "ألن ركمان"

ماذا حصل سنةَ 2003 في رفح – غزّة،

بعينيه رأى لا بعيني أحد غيره،

بأذنيه سمعَ لا بأذني أحد غيره،

وكانت "راشيل كوري"

بشجرتها الباسقة تقول: "لا".

نحن في القرن الحادي والعشرين،

أيضاً يُهدَم دمُ "راشيل كوري" وتُجرَفُ أحلام.

لا، لم ينس "ألن ركمان" ولن.

•

أنتَ لا تعرف من انا

وأنا سمعتُ عنكَ فقط،

أنت تجلس القرفصاء، وجهك محطَّم،

والآخر سلاحُه عليك،

لم أكن حبيبك ولم أكن سياجك،

بعضُ الآخر لم يكن يجروء على دخول مسرح

أو مسبح أو سينما أو مطعم فيه الآخر،

كان يرث الرملَ،

وذاتها "كونداليزا" تعوم في بحرِ دمِك،

تقطّع طوالَ الأسبوع في شراييناك،

ويوم الأحد تعزف على "بيانو".

•

"مصّاصو الدماء قلّة استطاعت

أن تكوّن شبكات نفوذٍ ونفوذاً مشتركاً".

صدفةٌ زئيرٌ وصدفةٌ صدأ،

صدفةٌ شهيقٌ وزفيرٌ وصدفةٌ زفيرٌ وشهيق،

صدفةٌ نعيق، صدفةٌ نقيق،

صدفةٌ تحترق وصدفةٌ رماد.

تخرج مِنْ كمِّ عمرِك،

جميعُنا ليتذكّرَك وجميعُنا لينساك،

ستقول وستصمت وسنقول وسنصمت،

بيننا حيّز لأمانيك وجميعُنا مثلك،

تسمع غناءنا ونسمع غناءك،

حيث تحلّ ستضيء،

ستكون فسيحاً وقاصداً كلّ جهة،

سترى الحافّةَ، وسترى جهةَ الغد.

جميعُهم نظرٌ أبعد،

قائمون على خدمة تائه واسترضائه،

منهم من صار مروحة ملطِّفاً من سطوةِ الحرّ،

منهم من صار خزانة لتحفظ أشياءه،

منهم من صار نقوشاً تُذكِّرُه أنّ الحياة فنّ،

منهم للمرور، للطيور، للسماء الزرقاء،

منهم من صار هاتفاً لئلاّ يشعر بالعزلة،

ومن صار سريراً يسهر لراحته من انكسار ظهرِه.

ذهاب وإياب،

كلمة عابرة وكلمة مقيمة،

الأرض تدور والمغزل يدور،

ذهاب آخر وإياب آخر.

فقدانُ الثقة

موتٌ آخر.

"لا قيمة للقلم إذا

لم يعبّر عن وجع الناس،

لا قيمة للقلم إذا لم يكن أعلى

من صوتِ النفاق".

صديقُك هو

الذي لا يحوجك للتمويه

في حديثِك.

•

ليس مِنْهم بعدُ غير صورة،

العنوانُ العريض في هذه الصحيفة يؤكِّدُ فيما ينفي،

يأخذ بيدِ رأسي إلى عالمٍ آخر

ويقول: "لا شيء إلاّ لونه أبيض".

أين هو المحاطُ بالعويل؟، أين هو المجذوع الأنف؟،

أين هو المصلوم الأذنين؟، أين هو المسمول العينين؟،

أين هو ذاته برجُ الهاوية؟.

ليس بعد غير هذه الصورة

مهما أفعل في هذه الساعة المتأخِّرةِ مِنَ الليل.

•

"يا أهل فوق،

السماء عندكم ماطرة؟،

عندنا تحت ولا قطرة".

إذا الطائفة بتصرّف مرابي

هي أكثر طواعيةً وأكثر هولاً.

الغراب

عند أعلى برجِ الهاوية.

الرسّام يرسم،

وبعدَ وقت سيفهمون

إنّه سبقهم إلى أصل الحكاية

التي لها حكاية لها حكاية.

الإنسانُ الإنسان هو

الذي يوحِّد بين متباعدَين،

الذي هو ملتقى روافدِ الجهات.

وجهٌ مرٌّ ووجهٌ سكّر،

وجهٌ مبتسِم ووجهٌ سمّ.

يراكَ وتراه، يُحاصرك وتحاصره،

تدفعه ويدفعك، يُفرِدُك وتُفرِدُه، يقتل فيك وتقتل فيه.

الوقتُ ليس بعدُ ذاته، الضوء ليس بعدُ ذاته،

القصص والحكايات كلّها رميم.

◆

هذا يزحف وذاك يزحف،

حاصَرُوا بركةَ الماء حصارَ الدائرة،

تراكموا عليها حاجبين عنها الشمس،

زفرتْ آخِرَ أنفاسها، أسنتْ،

جلبوا الحجارة، وهي مكانِها أغلقوا عليها.

•

الحصار

أم أنا الدائرة؟.

•

حتى في الأعماق السحيقة،

حيث العتمة الموحشة،

أنامل رقيقة وعيون طفلة

وضوءٌ آخر ينبض.

_ "ضوء آخر" \ الطبعة الأولى سنة 2015 \ سيدني ـ دار الفهد للنشر والتوزيع.

ـ "كلّ ما بين مزدوجين منقول أو مترجم وبالحاليتن هو بتصرّف".

Shawkimoselmani1957@gmail.com